الانسجام النّصي في القرآن الكريم مقاربة تطبيقية لسورة الملك

Textual harmony in the Holy Quran. An applied approach to the Sourat Al-mulk

د-سعيد تومي1،*

1جامعة البليدة 02 (الجزائر) toumisaid05@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/09/01 **تاريخ المراجعة:**2022/09/12 **تاريخ النشر:** 2022/09/30

ملخص:

حاولنا في المقال أن نميط اللثام عن مفهوم الاتّساق والانسجام في القرآن الكريم وما هي أهم الآليات والأدوات الإجرائية التي يوظفها هذا الكتاب الرباني الخالد لتحقيق ذلك الانسجام إن على مستوى أصواته أوكلماته أوجمله أوحتى موضوعاته بل وحتى بين سوره قاطبة. باعتباره نصا يسمو عن النصوص البشرية في تشكله وشكله وموضوعاته. فلا غرابة أن نسلك طريقة غير الطرائق الكلاسيكية المعروفة لاستكناه جمالية ذلك الانسجام والبناء الرباني في أبهى صوره من خلال سورة الملك وهي سورة مكية عقائدية بامتياز.

الكلمات المفتاحية: الانسجام، الاتساق، في، مقاربة، تطبقية، سورة، الملك

Abstract:

In the article, we tried to unveil the concept of consistency and harmony in the Holy Qur'an and what are the most important procedural tools that this divine and immortal book employs to achieve that harmony, whether at the level of its voices, words, sentences, or even its themes, and even among its entire surah. As a text that transcends human texts in its formation, form and themes. It is not surprising that we follow a method other than the well-known classical methods, to capture the beauty of that harmony and divine structure in its best form through Surat Al-Mulk, which is a Meccan ideological Surah par excellence.

***key words**: Harmony, consistency, approach, to, application, Surat, Al-Mulk*

*المؤلف المراسل.

تتحقّق آلية الانسجام في النّص القرآني من خلال المناسبة بين آياته، وإذا كان "علم أسباب النّزول علم تاريخي، فإنّ علم المناسبة علم أسلوبي، بمعنى أنّه يهتمّ بأساليب الارتباط بين الآيات والسّور"[1]قبلها بما بعدها. وهذا الرّبط مبني على المعاني الّتي تحملها الآيات السّابقة و اللاّحقة، وهذا من وظيفة السّياق، "فالّذي يشخّص المعاني ويشكّلها، ويحدّد بدايتها ونهايتها، سياقها. فالسّياق خادم لعلم المناسبات، ولا يتمّ استجلاء المناسبات إلاّ بعد معرفة سياق المقاطع القرآنية"[2].

وعلى هذا الأساس، ولأنّ ترتيب الآيات في السّورة الواحدة من جهة، وترتيب السّور في القرآن الكريم من جهة ثانية، مصون قديما في اللّوح المحفوظ من لدن حكيم خبير، فإنّ وحدة هذه الآيات واتّساقها وانسجامها وتلاحم مفرداتها ضمن جملها وتراكيبها، ثمّ بين مواضيعها في السّورة الواحدة، وكذلك الأمر بين السّور، حقيقة تشدّ قارئ النّص القرآني ليقف على كنْه هذا الانسجام ومن ثَمَّ البحث في آلياته ووسائله، تلك الحقيقة الّتي تسندها أحاديث نبوية شريفة وردت في الصّحاح، نذكر من بينها، ما رواه الإمام أحمد في مسنده: "عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالسًا إذ شخَص ببصره، ثمّ صوّبه حتّى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثمّ شخَص ببصره فقال: "أتاني جبريل السلام، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السّورة: "إِنَّ الله يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَرُون"(النّحل90) "[3].

وهذا الأمر من التّرتيب والتّوافق بين الآيات والسّور كان توقيفيًا بإجماع القدماء من العلماء والمحدثين، فقد أكّد ذلك جلال الدّين السّيوطي في الإتقان بقوله: "الإجماع والنّصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفي، ولا شبهة في ذلك"[4]. وهو ماذهب إليه أيضا الزركشي في البرهان بقوله: "الآيات في كلّ سورة ووضع البسملة أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لايجوز تعكيسها"[5]. وفي تفسير الرّازي لقوله تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ" (البقرة 285) قال: "ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السّورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"[6].

ممّا سبق يتّضح جلّيا أنّ الآيات والسّور في القرآن الكريم، كان توقيفيا بحسب ما أراده الله عزّ وجلّ، وبما يحقّق إعجاز هذا الكلام من تناسب بين الآيات والسّور ووحدة موضوعية ووجوه بلاغية مختلفة يقتضيها السّياق.

ولمّا كان هذا شأن القرآن في ترتيب آياته وسوره، جاء علم المناسبات ليكشف لنا علل هذا التّرتيب والتّناسب، وأسراره البلاغية المعجزة، وقد عرّفه البقاعي بقوله: "علم المناسبات: علم تعرف منه علل التّرتيب، وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث التّرتيب، وثمرته: الاطّلاع على الرّتبة الّتي يستحقّها الجزء، بسبب ما له، وما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلّق الّذي هو كلُحمة النّسب، فعلم مناسبات القرآن: علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقّف الإجادة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النّفاسة"[7]. وقد ذكر الإمام الزّركشي في البرهان قول أبي بكر بن العربي في مفهوم هذ العلم فقال: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم"[8].

هذا الأمر أدركه علماء الأسلوب المحدثين، الّذين أكّد البعض منهم على أنّ هدف علم المناسبة البحث في وحدة النّص القرآني. فهذا الدّكتور **نصر حامد أبو زيد** يقول: "والنّص القرآني وإن كانت أجزاؤه تعبيرات عن وقائع متفرّقة، نص لغوي له قدرة على تنمية وإبداع علاقات خاصة بين الأجزاء، وهي علاقات المناسبات الّتي يبحث فيها هذا العلم... فإنّ وحدة النّص القرآني بوصفه بناء مترابط الأجزاء. على حدّ تعبير القدماء. هي الغاية الّتي يبحث عنها علم المناسبة"[9].

ويحدّد **أبو زيد** مجال هذا العلم في النّص ذاته لا خارجه بقوله: "ومن المهمّ أن نلاحظ أنّ علم المناسبة، لا يبحث عن علاقات خارجية، ولا يستند إلى شواهد من خارج النّص، فالنّص في هذا العلم هو شاهد ذاته، وهو الّذي يؤسّس معايير علاقاته بناءً على طريقة تركيبه اللّغوي أو العقلي أو الحسّي"[10]. وفي موضع آخر من كتابه **(مفهوم النّص)** يدقّق أبو زيد مفهوم هذا العلم بقوله: "ينظر علم المناسبة للنّصوص من حيث علاقاتها اللّغوية والأسلوبية أو العقلية أو الذهنية، إنّه العلم الّذي يدرس العلاقات داخل النّص"[11]

ينقدح لنا ممّا سبق أنّ سبيل البحث في انسجام النّص أو الخطاب القرآني هو علم المناسبة؛ ولمّا أدرك الباحثون في علوم القرآن هذا الأمر، بحثوا في آليات ومظاهر انسجام آيات السّورة الواحدة من القرآن، واتّسع الأمر عند بعضهم إلى البحث في انسجام سور القرآن*. ويأتي على رأس هؤلاء من المحدثين الدّكتور **محمد خطابي** في كتابه **(لسانيات النّص. مدخل إلى انسجام الخطاب)** الّذي أصبح مرجعا مهمّا لكلّ دارس لانسجام النص القرآني باعتباره هيّأ. اعتمادا على ما وصل إليه القدماء. آليات البحث في الانسجام.

والمتأمّل في سورة الملك يجدها، السّورة المكّية العقائدية الّتي تتجلّى فيها العلل الخفية لانسجام آياتها؛ فالبحث في هذا التّعانق وهذا الانتظام بين الموضوعات المشكّلة للسّورة، يبرّره التّناسب بين المكوّنات الصّوتية والصّرفية والتّركيبية، وكذا الدّلالية الّتي وقفنا عندها في الفصول السّابقة؛ ولإدراك تلك العلل الّتي تجعل من سورة الملك نصًا منسجمًا، كان لزاما البحث في أهمّ وسائله وآلياته انطلاقا من نظام المناسبة بين آياته وموضوعاته*. وللوقوف على دقائق هذا الموضوع، قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، نبحث في الأوّل نظام المناسبة العام، وفي الثاني نتوقف عند نظام المناسبة الخاص

المبحث الأوّل: نظام المناسبة العام

1- مناسبة فاتحة السّورة لخاتمة الّتي قبلها: أشار الإمام الزّركشي إلى أنّ المناسبة بين فاتحة سورة وخاتمة السّورة الّتي قبلها، أسلوب معتمد في القرآن الكريم وضرب لذلك أمثلة من القرآن الكريم، بين ما انتهت به سورة النّساء وما ابتدأت به سورة المائدة ...وبين ما انتهت به سورة المائدة وما ابتدأت به سورة الأنعام، وكذلك الأمر بين سورتي الحديد والواقعة[12].

وسورة الملك واحدة من السّور القرآنية الّتي ارتبط مضمون مطلعها بمضمون خاتمة الّتي قبلها ارتباطًا وثيقا، فلكأنه يوحي للقارئ أنّ النّص واحد. ووجه تعلّق مطلع سورة الملك بخاتمة سورة التّحريم كما جاء في **(التّفسير المنير)** لصاحبه وهبة الزّحيلي من وجهين:[13]

*- **وجه عام:** وهوأنّ هذه السّورة .يقصد سورة الملك .تؤكّد مضمون السّورة السّابقة في جملتها، فالسّورة المتقدّمة تبيّن مدى قدرة الله وهيمنته وتأييده لرسوله محمّد صلى الله عليه وسلّم في مواجهة احتمال ظهور تآمر امرأتين ضعيفتين من نسائه عليه، وهذه السّورة توضّح بصفة عامّة أنّ بيد الله ملك السّماوات والأرض ومن فيهنّ، وأنّه القدير على كلّ شيء.

*- **وجه خاص:** وهو أنّه تعالى ذكر في أواخر سورة التّحريم مثالين فريدين متمثّلين بامرأتي نوح ولوط للكافرين، وبامرأة فرعون المؤمنة، ومريم البتول للمؤمنين، وهذه السّورة تدلّ على إحاطة علم الله تعالى وتدبيره، وإظهاره في خلقه ما يشاء من العجائب والغرائب. فإنّ كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع اتّصالهما بنبيّين كريمين، وإيمان امرأة فرعون لم يضرّها اتّصالها بفرعون الطّاغية الجبار العنيد، كما لم يزعزع إيمان مريم حملها غير المعهود بعيسى عليه السّلام.

وإذا سلّمنا بما ذهب إليه الزّحيلي من وجهي التّناسب اللّذين ذكرهما، نستطيع القول أنّ الجزاء مقترن بالآيات الدّالة على التّوحيد والقدرة والحكمة الإلهية، وهو وجه مطّرد في القرآن الكريم، إذ هو مناسبة بين الحكم ودليله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون وجه التّناسب هنا بين مفصّل لمجمل، فكان بذلك مطلع سورة الملك تفصيلاً لخاتمة سورة التّحريم، وقاعدة التّفصيل لمجمل تكاد تكون مطّردة بين سور القرآن الكريم أيضا، وإلى هذا ذهب السّيوطي بقوله: "إنّ القاعدة الّتي استقرّ بها القرآن: أنّ كلّ سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه. وقد استقرّ معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها"[14]

2– مناسبة اسم السّورة لمضمونها العام: العلاقة بين مضمون السّورة واسمها علاقة وثيقة في القرآن، ولإطلاق الأسماء على سور القرآن كما ذكر الزّركشي "ليس إلاّ تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من مخلق أو صفة تخصّه... ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[15].

فأسماء سور القرآن إمّا لفظ تكرّر في السّورة، وتعلّق به الحكم، أو بُنيت عليه معاني السّورة أو أغلب آياتها، أو كان اسما لنبيّ روت السّورة قصّته أو جزءاً منها والأمثلة كثيرة في القرآن؛ ومن السّور من اتّخذت حرفا هجائيا تبتدأ به اسما لها مثل: "ق" و "يس" و "حم" .. كما أنّ البعض منها من اتّخذت من فضلها اسما لها.

وسورة الملك واحدة من السّور القرآنية الّتي عالجت موضوع العقيدة في أصوله الكبرى، فتناولت قدرة الخالق عزّ وجلّ وسيطرته على الكون وما فيه بإقامة الأدّلة والبراهين، فكان لهذه المعاني كلّها دلالة **الملك**، وهي اللّفظة الّتي انبرت في مطلع السّورة وكانت ذات بروز أسلوبي لافت. قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير"(الملك1)؛ فسُميت بهذا الاسم لاحتوائها على أحوال الملك، سواءً أكان الكون أم الإنسان، وأنّ ذلك ملك لله تعالى وحده.

والدّارس لكتب التّفسير المختلفة يقع على أسماء أخرى عُرفت بها هذه السّورة ومن ذلك: **المنجية**، لأنّها تنجي صاحبها عذاب القبر، كما جاء في الحديث. ومن أسمائها أيضا **المجادلة** لأنّها تجادل عن قارئها في القبر[16]. وهذا ممّا يدل على أنّ هاتين التّسميتين ارتبطتا بفضل السّورة على صاحبها لا بموضوعها العام؛ على أنّ الأشهر في أسمائها هو: **الملك** تناسبا وانسجاما مع موضوعها. قال محمد الطاهر بن عاشور: "والشائع في كتب السّنة وكتب التّفسير وفي أكثر المصاحف تسمية هذه السّورة سورة الملك، وكذلك ترجمها التّرمذي: باب ما جاء في فضل سورة الملك، وكذلك عنونها البخاري في كتاب التّفسير من صحيحه"[17]

3- مناسبة خاتمة السّورة لبدايتها: المطّلع على كتب علوم القرآن وتفسيره القديمة والحديثة، يتّضح له أنّ القرآن الكريم ما كان له أن يغفل هذه النّكتة الأسلوبية ذات البعد التّعاضدي في انسجام النّص، فقد اجتهد القدماء في تبرير هذا التّناسب بين مطلع السّورة ونهايتها وتحديد نوعيته، كما فعل الزّركشي في إشارته للمناسبة بين مطلع سورة **المؤمنون** وخاتمتها. قال: "وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين* "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون" وأورد في خاتمتها "إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُون" فشتّان بين الفاتحة والخاتمة"[18].

فالظاهر في العلاقة بين فاتحة السّورة وخاتمتها علاقة تضاد، والقرآن في ذلك يشترك مع الشّعر في ظاهرة ردّ الأعجاز على الصّدور. وإلى هذا أشار الدّكتور محمّد خطابي بقوله: "إنّ مناسبة خاتمة السّورة لفاتحتها على النّحو الّذي سبق نوع من ردّ العجز على الصدر، ومن ثَمَّ تغدو هذه الوسيلة الّتي وضعها البلاغيون سمة مشتركة بين الخطاب الشعري وبين الخطاب القرآني"[19].

والمتأمّل لفاتحة سورة الملك: "تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير" (الملك1) وخاتمتها: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأتِيْكُمْ بِمَاءٍ مَعِيْن" (الملك30)، يشدّه هذا التّناسب اللّطيف بين هاتين الآيتين، فالّذي ملك السّماوات والأرض ومن فيهن، وكلّ شيء عنده بمقدار وكلّ حركة في الأرض وفي السّماء بقدرته، والّذي أمره بين الكاف والنّون، يستطيع أن يعذّب الكافرين في الدّنيا قبل الآخرة بأن يحرمهم من سبب الحياة الأوّل الّذي هو الماء، فكيف إذا جعل الله ماءهم غورًا وكيف لو أذن عزّ وجلّ بوقوعه. قال صاحب الظلال: "وهي لمسة قريبة في حياتهم، إنْ كانوا ما يزالون يستبعدون ذلك اليوم ويشكّون فيه،... والملك بيد الله وهو على كلّ شيء قدير"[20]. فالعلاقة بين مطلع السّورة وخاتمتها سببية، وعليه فمن مظاهر وحدة السّور وتناسب وانسجام آياتها، مناسبة خاتمة السورة لمطلعها.

4- مناسبة مطلع السّورة لموضوعها: من أساليب بلاغة التعبير أن يستهلّ الكلام بما يشير إلى موضوعه والغرض المقصود منه، وهو لدى علماء البلاغة **"براعة الاستهلال"**. يقول صاحب الإتقان: "هو أن يشتمل الكلام على ما يُناسب الحال المتكلّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام من أجله... والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة الّتي هي مطلع القرآن، فإنّها مشتملة على جميع مقاصده"[21].

وهذا الأسلوب معتمد في غير ما موضع في القرآن الكريم، ومثاله سورة الملك فقد "افتتحت السّورة بما يدلّ على منتهى كمال الله تعالى افتتاحا يؤذن بأنّ ما حوته يحوم حول تنزيه الله تعالى عن النّقص الّذي افتراه المشركون لمّا نسبوا إليه شركاء في الرّبوبية، والتّصرّف معه والتّعطيل لبعض مراده، ففي هذا الافتتاح براعة الاستهلال"[22]، فارتبط مطلعها بجميع موضوعاتها بدءاً من الآية الثانية إلى الآية الأخيرة، فكان بحق مفتاح السّورة ومطلعها الجامع. وإلى هذا ذهب سيد قطب بقوله: "ومفتاح السّورة كلّها، ومحورها الّذي تشدّ إليه تلك الحركة فيها، هو مطلعها الجامع الموحي: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير" وعن حقيقة الملك وحقيقة القدرة تتفرّع سائر الصور الّتي عرضتها السّورة، وسائر الحركات المغيّبة والظاهرة الّتي نهت القلوب إليها ... فكلّ حقائق السّورة وموضوعاتها وكلّ صورها وإيحاءاتها مستمدّة من إيحاء ذلك المطلع ومدلوله الشامل الكبير"[23]؛ فهي بذلك تفسّر وتفصّل المجمل، وهي بحق لطيفة من لطائف أسلوب القرآن المعجز الّتي تضفي على الخطاب أو النّص القرآني اتّساقا وانسجاما ممّا يحمله على تماسك شديد بين الأجزاء المشكّلة له، سواء أكانت بين الموضوعات العامّة الكبرى، أو بين الآيات المشكّلة لتلك الموضوعات أو حتّى بين مستويات البناء العام للخطاب

المبحث الثاني: نظام المناسبة الخاص

1- المناسبة بين موضوعات السّورة: حريّ بنا في هذا المقام أن نشير إلى أنّ تحديد موضوعات أيّ سورة من سّور القرآن الكريم، قبل البحث في مناسبة تلك الموضوعات لبعضها البعض، كان منذ القرن الثاني الهجري هاجسًا عظيمًا أرّق وأيقظ مضاجع علماء التّفسير والبيان. فأن تقف على موضوع واحد يجمع شمل مجموعة من الآيات متفرّقة أمر صعب، والأصعب منه أن تقف على ما يربط بين أجزائها، فكان أن اعتمد هؤلاء على الحدس والذّوق الفنّي وهم أهل اللّغة والبلاغة وأئمتها؛ وكان كنتيجة لذلك أن عمد بعضهم إلى سنّ قوانين وإنْ شئت قل مقاييس علمية يُهتدى بها إلى معرفة وتحديد موضوعات سورة ما. ومن هؤلاء العلماء جلال الدّين السّيوطي الّذي وضع مقياسًا علميا يُعتمد كمنهجية في التعرّف واستخلاص حدود موضوعات السّورة ومن خلالها المناسبة بين آياتها. يقول: "الأمر الكلّي المفيد في لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الّذي سيقت له السّورة، وينظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدّمات إلى ما يستتبعه من استشراف إلى نفس السّامع إلى الأحكام واللّوازم التّابعة له الّتي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا الأمر الكلّي المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبيّن لك وجه النّظم مفصّلاً بين كلّ آية وآية، في كلّ سورة انتهى"[24].

وسورة الملك على قلّة آياتها الّتي بلغت الثلاثين تعدّدت مواضيعها، وهي على تعدّدها تصبّ كلّها في مقدّمة كبرى واحدة هي مطلع السّورة كما سبق بيان ذلك. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ تحديد هاته المواضيع يبقى مسألة نسبية اعتمادا على معطيات خاصّة تنبري لمفسّر بينما تخفى على آخر، فـ" قد يعتمد مفسّر على بعض معطيات النّص ليكتشف من خلالها علاقات خاصّة بينما يعتمد مفسّر آخر على معطيات أخرى فيكشف عن نمط آخر من العلاقات"[25]؛ فهذه السّورة الّتي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى، تناولت أهدافا رئيسية ثلاثة وهي: إثبات عظمة الله تعالى وقدرته على الإحياء والإماتة، والثاني إقامة الأدّلة والبراهين على وحدانية ربّ العالمين، والثالث بيان عاقبة المكذّبين. وانطلاقا من هاته الأهداف يمكن لنا تحديد مقدّمة السّورة والموضوعات الكبرى المتعلّقة بها كما يلي:[26]

- المقدّمة: حقيقة الملك والقدرة. الآية (01)

*- الموضوع الأوّل: من مظاهر قدرته وعلمه تعالى. الآية [1.5]

*- الموضوع الثاني: تعذيب الكفّار العصاة. الآية [6.11]

*- الموضوع الثالث: وعد المؤمنين بالمغفرة وتهديد الكافرين مرّة أخرى. الآية [12.15]

*- الموضوع الرّابع: أنواع من الوعيد والتهديد، والعبرة بالأمم الأخرى.الآية [16.19]

*- الموضوع الخامس: توبيخ المشركين على عبادة الأصنام وإثبات قدرة الله تعالى، واختصاصه بعلم البعث. الآية [20.27].

*- الموضوع السّادس: جواب القرآن على دعاء الكافرين بهلك النّبي والمؤمنين. الآية [28.30].

يمكننا الوقوف على البناء العام لسورة الملك من خلال المناسبة بين المقدّمة الكبرى الّتي هي مفتاح السّورة والمواضيع الّتي جُمعت تحتها، وبين ما يجمع تلك المواضيع، وكيف انتقل القرآن من موضوع لآخر دون أن يحسّ القارئ للنّص القرآني بذلك، فهو وحدة متجانسة متآلفة متكاملة لاتفكّك ولا انفصام فيها، تتعانق فيه تلك الموضوعات بصورة لا توجد إلاّ في القرآن الكريم.

فأمّا النّقطة الأولى، فسبق وأن أشرنا إليها في حديثنا عن المناسبة بين مطلع السّورة وموضوعها، وقلنا أنّ ما افتتحت به السّورة من تنزيه الله تعالى وكماله وحقيقة ملكه وقدرته، منسجم مع ما يأتي من مواضيع تؤكّد هذه الحقيقة الجامعة، وذكرنا أنّ تلك المواضيع تفصيل لافتتاح مجمل.

وأمّا الثانية، فمن مظاهر التّناسب المعنوي في آيات العقيدة، اقتران القضايا بأدّلتها، فالآيات الّتي تقرّر أصول العقيدة تقترن بالآيات الكونية. وهذا الرّبط بين الإقرار بقدرة الله ووحدانيته وعظمة ملكه وبين الآيات الكونية الدّالة على تلك القدرة والعظمة من أساليب القرآن الّتي تؤكّد المناسبة المعنوية بين القضية والدّليل. أمر أكّده الدّكتور أحمد أبو زيد حينما قال: "يجد الباحث المتتبّع لأوجه تناسب المعاني القرآنية المتوافقة أنّ القرآن الكريم أنشأ مناسبات قوية بين أصول العقيدة، وبين بعض المعاني، فربط بين الإيمان بالله والإقرار بربوبيته ووحدانيته واليوم الآخر والبعث والجزاء، والرّسالة والنّبوة من جهة، وبين الآيات الكونية المنصوبة في الآفاق والأنفس من جهة ثانية، وأوجد بينها في التصور الإسلامي روابط متينة، ومن ثَمَّ وجدنا أنّ الآيات الّتي تقرّر أصول العقيدة تقترن بصورة مطّردة بالآيات الّتي تتحدّث عن الكون وما فيه من السّماوات والأرض والكواكب والنّجوم والبحار، والجنّ والإنس، والطيور والدّواب، وعن بعض الظواهر الطبيعية كالرّياح والسّحاب والمطر... والشّمس والقمر"[27].

إنّ هذا التّناسب المطّرد في القرآن الكريم الّذي تحمله آيات العقيدة متجسّد في سورة الملك، فبعد أن أشار المولى تعالى إلى قدرته العظيمة وملكه الّذي بيده هو وحده دون غيره، انتقل إلى الدّلائل الكونية العجيبة الّتي تثبت تلك القدرة وتلك العظمة؛ وذكر منها: الموت والحياة والسّماوات السّبع الطباق حيث لا تفاوت فيها، فهي منسجمة انسجام توالي الآيات في السّورة وترتيبها، ثمّ ذكر السّماء الدّنيا كأقرب الأدلّة المشاهدة بالعين المجرّدة، والنّجوم الّتي تزيّنها. فالقرآن يدعو إلى الإيمان بحقائق غير محسوسة عن طريق الاستدلال بالحقائق والآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس. وفي هذا يقول أحمد أبو زيد: "دعا القرآن إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والبعث والجزاء، وبالوحي والنّبوة، وهي كلّها حقائق غير محسوسة، ولكنّه بيَّن للنّاس الطريقة الّتي يجب أن يعتمدوها لمعرفة الأدّلة الّتي دعا القرآن إلى النّظر فيها والاستدلال بها، هي الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس"[28].

وبعد أن أثنى الله تعالى على نفسه، وأخبر بقدرته وملكه العظيم وتفرّده، كلّ ذلك عن طريق الاستدلال، انتقل في موضوع ثانٍ إلى ما يُقابل هذه العظمة وهذا الملك الّذي هو رحمة للنّاس أجمعين، من جحود ونكران من لدن الكافرين، فذكر عذابهم نظير عذابه للشّياطين المرجومة بالنّجوم، ليعدّد من بعدها أوصاف النّار وأهوالها، وقد زاد في انسجام هذا الانتقال من موضوع لآخر حرف العطف **(الواو)**. قوله تعالى: "وَلِلَّذِيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ"(الملك6).

وفي موضوع ثالث، ولمّا كان تعقيب الرّهبة بالرّغبة من أساليب القرآن العامّة، حمل القرآن بشرى للمؤمنين بالمغفرة، على أنّه عاد إلى تهديد الكافرين مذكّرا إيّاهم والنّاس أجمعين بما أنعم عليهم من أرض ورزق.. وفي الموضوع الثالث هذا، انسجام لافت مع ما حمله الموضوع الثاني، فالحديث لم يبرح أهل الكفر إذا استثنينا الاعتراض بالترغيب في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم"(الملك12)؛ اعتراض أشار إليه ابن عاشور في تفسيره بقوله: "اعتراض يفيد استئنافا بيانيًا جاء على سنن أساليب القرآن من تعقيب الرّهبة بالرّغبة"[29]. والأمر نفسه ذهب إليه سيد قطب بقوله: "والمألوف في سياق القرآن أن يعرض صفحتين متقابلتين في مشاهد القيامة، فهو يعرض هنا صفحة المؤمنين في مقابل صفحة الكافرين تتمّة لمدلول الآية الثّانية في السّورة: ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً".. بذكر الجزاء بعد ذكر الابتلاء"[30]. فسَيِّد يشير إلى انسجام هذه الآية واتّساقها مع الآية الثانية، فهي تتمّم مدلولها.

ويواصل القرآن في موضوع رابع تهديده ووعيده لأهل الكفر بخسف الأرض وإرسال الحاصب، والعبرة بالأمم السابقة الّتي كفرت بأنعم الله فأذاقها العذاب والبأس الشّديد، ليعود القرآن في السّياق ذاته إلى الاسترسال في التّدليل بالقدرة المطلقة في التّصرّف في الموجودات، فذكر منها الطير الّتي بين السّماء والأرض، فالّذي مسك الطير يستطيع أن يجعل الأرض تمور، كما أنّه يستطيع أن يرسل الحاصب من السّماء، أمر أنكره الكافرون.

وبعد أن هدّددهم وذكّرهم بقدرته وهم لا حول لهم ولا قوة، انتقل إلى أسلوب التّحدّي، وفي هذا الانتقال ضرب من الانسجام القرآني العجيب، فالتّهديد لا محالة يوجب التّحدّي، فكان هذا الأسلوب بصيغة الاستفهام حيث وجه "إليهم استفهاماً أن يدلّوا على أحد من أصنامهم أو غيرها يُقال فيه هذا، هو الّذي ينصر من دون الله، فإنّهم غير مستطعين تعيين أحد لذلك إلاّ إذا سلكوا طريق البهتان، وما هم بسالكيه في مثل هذا لافتضاح أمره...فالاستفهام مستعمل في التّعجيز عن التّعيين فيؤول إلى الانتفاء"[31].

وبعد التّحدّي أورد الله تعالى برهانين على كمال قدرته: خلْق النّاس وحواسهم من جهة، وتكاثرهم واستمرارهم، ثم حشرهم إليه من جهة أخرى؛ وهذا الانتقال من التّحدّي إلى البرهنة تبصير المشركين بالحجج والدّلائل. وما يمكن أن نورده في هذا المقام أنّ أسلوب الاستدلال على كمال قدرته عزّ وجلّ في سورة الملك انتقلت من الأصل إلى الفرع، من الموضوع الأوّل إلى الموضوع السّادس من السّورة، وفي ذلك بيان وتفصيل لمجمل على طريقة القرآن. وفي هذا يقول ابن عاشور: "والانتقال هنا للاستدلال بفروع المخلوقات بعد الاستدلال بأصولها، ومن الاستدلال بفروع أعراض الإنسان بعد أصلها. فمن الاستدلال بخلق السّماوات والأرض، والموت والحياة، إلى الاستدلال بخلق الإنسان ومداركه"[32].

ولمّا كان شأن الكفار والمشركين المعاندة، فقد جهروا بتمنّي هلاك الرّسول الكريم ومن معه من المسلمين، فكان أن أمر الله رسوله أن يخبرهم بأنّ موته لن يشفع لهم عند الله من عذاب محقّ بهم. وفي مقابل عذاب المشركين الرّحمة للمؤمنين. وفي الموضوع السّادس انسجام مع سابقه، فتوبيخ الكفار يوجب من القرآن الردّ وحماية أهل الإيمان، فكانت هاته الآيات الثلاث الأخيرة مناسبة لحكاية أهل الشرك وسؤالهم عن الوعد.

2- المناسبة بين آيات السّورة: بعد أن وقفنا على المناسبة بين مواضيع سورة الملك، وكيف اتّسقت وانسجمت مع بعضها البعض؛ نحاول أن نقف في هذا العنصر عند تناسب الآيات مع بعضها البعض أيضا ضمن الموضوع الواحد، بما يحقّق ذلك الانسجام الّذي ألفيناه بين المواضيع، وذلك اعتمادا على آليات الاتّصال بين أجزاء الكلام والعلاقات القائمة بين الآيات. ومن تلك الآليات والأدوات:

أ- العطف: تتحقّق آلية العطف والرّبط بين الآيات في سورة الملك إمّا بالرّوابط أو الأدوات النّحوية، وإمّا بالقرائن المعنوية المختلفة:

*/. **العطف بالأدوات النّحوية:** تتناسب الكثير من الآيات في القرآن الكريم وتترابط أجزاؤها اعتمادا على حروف العطف المختلفة، وما تفيده تلك الحروف. والعطف يختلف باختلاف المقام والمقاصد، فقد يكون عطف كلمة على أخرى أو عطف جملة على جملة، كما قد يكون العطف بين قصة وقصة. والعطف في القرآن لا يقتضي التّتابع، فقد يعطف القرآن جملة

دون أن يتّضح للقارئ المعطوف عليه، وهذا بيان وتنشيط لذهن السّامع أو القارئ للبحث في أوجه الرّبط هذه. وإذا ما تأمّلنا سورة الملك وقعنا على العطف بين آياتها متباين الأدوات:

ففي الموضوع الأوّل[الآيات1إلى5]: نجد المناسبة بالعطف بالحرف **(ثم)**، في قوله تعالى:"الّذِي خَلَقَ سَبَع سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُور ثُمَّ اِرْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِب إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِير" (الملك4/3) فـ"عطف "ثَمَّ اِرْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ" دال على التّراخي الرّتبي كما هو شأن (ثمّ) في عطف الجمل، فإنّ مضمون الجملة المعطوفة بـ"ثُمَّ" هنا أهمّ وأدخل في الغرض من مضمون الجملة المعطوف عليها، لأنّ إعادة النّظر تزيد العلم بانتفاء التّفاوت في الخلق رسوخًا ويقينًا"[33].

ومن المناسبة بالعطف بحرف **(الواو)** ما ورد في الموضوع الثاني [الآيات من 6 إلى 11]: وذلك في قوله تعالى: "قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِير فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ الله مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِير، **و** قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِير" (الملك10/9). فوجه عطف الآية الثّانية على الأولى لبيان سبب دخولهم جهنّم، فلقد كذّبوا الرّسل في الدّنيا، فلم يسمعوا ولم يعقلوا وكانوا في ضلال مبين. وفي تقديم السّمع على العقل نكتة بلاغية مفادها أنّ أوّل ما يتلقّاه الإنسان من النّذير يكون بسمعه ثمّ يُعْمِل عقله في التدبّر فيما أتاه به.

ومن العطف بحرف **(الواو)** ما ورد في الموضوع الثالث [الآيات من12إلى15]: وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيْر، **و** أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اِجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُور"(الملك13/12)، فالجملة "وَأَسِرُّوا"، "عطف على الجملة السّابقة، عطف غرض على غرض، وهو انتقال إلى غرض آخر لمناسبة حكاية أقوالهم في الدّنيا وهي الأقوال الّتي كانت تصدر منهم للنّيل من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكان يُطلعهم على أقوالهم، فيخبرهم النّبي صلّى الله عليه وسلّم بأنّكم قلتم كذا وكذا، فقال بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم كي لا يسمعه ربّ محمّد"[34].

أمّا في الموضوع الرّابع [الآيات من 16 إلى 19]: فنقع على العطف بالحرف **(أمْ)** بين الآية (16) والآية (17)، وبحرف **(الواو)** بين الآية (17) والآية (18). قوله تعالى: "أَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور، **أَمْ** أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيْر، **وَ** لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مَنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِير"(الملك 18/17/16).

فـ"أمْ" عاطفة بمعنى (بل)وهمزة الاستفهام الانكاري التّعجبي، ووجه المناسبة بين الآيتين (16) و(17) "انتقال من الاستفهام الانكاري التعجبي إلى آخر مثله باعتبار اختلاف الأثرين الصادرين عن مفعول الفعل المستفهم عنه اختلافا يوجب تفاوتًا بين كُنهَي الفعلين وإن كانا متّحدّين في الغاية، فالاستفهام الأوّل إنكار على أمنهم الذّي في السّماء من أن يفعل فعلاً أرضيًا، والاستفهام الواقع من "أمْ" إنكار عليهم أن يأمنوا من أن يُرسل عليهم من السّماء حاصب* وذلك أمكن لمن في السّماء ، وأشدّ وقعا على أهل الأرض"[35]. وعليه فـ"أمْ" لمّا كانت بمعنى (بلْ) فهي للإضراب، انتقل بها من غرض إلى غرض من التّهديد بخسف الأرض إلى التّهديد بإرسال الحاصب، فقد أضرب بها عن التّهديد بما سبق إلى التّهديد بشيء آخر.

أمّا العطف بين الآيتين (17) و (18) فكان بحرف **(الواو)**، وذلك على وجه المناسبة بأنّ ما سيحلّ بهم من عذاب جرّاء تكذيبهم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، حلّ بالأمم السّابقة الّتي كذّبت أنبياءها. قال محمّد الطاهر بن عاشور: "فالجملة عطف على

جملة "أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا" لمناسبة أنّ ممّا عوقب به بعض الأمم المكذّبين من خسف أو إرسال حجارة من السّماء، وهم قوم لوط، ومن خس بهم مثل أصحاب الرّسّ"[36]. وقدأشار ابن عاشور إلى أنّ **(الواو)** هنا قد تكون "للحال، أي كيف تَأْمنون ذلك عندما تكذّبون الرّسول في حال أنّه قد كذّب الّذين من قبلكم فهل علمتم ما أصابهم على تكذيبهم الرّسل"[37]. على أنّ الأمر في كلتا الحالتين يفيد وجها من أوجه التّناسب بالعطف بين الآيتين.

في الموضوع الخامس [الآيات من 20 إلى27]: ورد العطف بحرف الفاء هذه المرّة في مطلع الآية (27) في قوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَدَّعُون" ف**(الفاء)** حرف عطف عطفت ما بعدها على جملة محذوفة، والتّقدير: "وأتاهم الحشر والعذاب الموعود فرأوه، فلمّارأوه ...إلخ"[38]؛ والجملة المقدّرة هذه مرتبطة بالآية (25) قوله تعالى: "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْن" فمناسبة الحذف هي أنّ الجملة ذُكرت من قبل وبالتّالي تحاشى القرآن التّكرار، وهذا ممّا يدلّ على تناسب وانسجام الآيتين، وممّا يزيد في هذا الارتباط والتّناسب الضمير **(الهاء)** في "رَأَوْهُ"، فهو عائد على الوعد، كما سنرى ذلك في عنصر قادم من هذا الفصل.

*/- **العطف بالقرائن المعنوية:** قد تكون الآية مرتبطة بالآية الّتي قبلها أو الّتي بعدها بغير الرّوابط أو القرائن اللّفظية المذكورة آنفا. فعند ذلك تحتاج الآيات إلى قرائن معنوية تُوصل الكلام بعضه ببعض، وذلك ما ذهب إليه الزّركشي بقوله: "لا بدّ من دعامة تُؤْذن باتّصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالرّبط... وتنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب"[39]. ومن هاته الأسباب الّتي ذكرها الزركشي: التّنظير، والمضادة، والاستطراد، والانتقال من حديث لآخر تنشيطا للسّامع[40]، ووقوع الآية الثانية محلّ الجواب من الثانية، وغيرها..

- **التضاد:** ورد من هذا السبب أنموذج في سورة الملك، حيث جُعل التّناسب بين الآيتين بالتضاد، وهذا في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌكَبِير" (الملك12)، فهذه الآية تتناسب بالتّضاد مع الآية الّتي قبلها، بل ومع مجموع الآيات الّتي سبقتها الّتي تحدّثت عن الّذين كفروا وما ينتظرهم من عذاب، فقد انتقل القرآن الكريم من الحديث عن الكفار والمشركين، وما سيلحقهم من عذاب في الآخرة إلى المؤمنين وما ينتظرهم من غفران وأجر؛ فهذا الانتقال جعل بين هاته الآية والآيات الّتي سبقتها مناسبة هي التضاد. وهذا كما سبقت الإشارة إليه من باب تعقيب الرّهبة بالرّغبة، وهو أسلوب ألفيناه من الأساليب العامّة للقرآن الكريم.

- **الاستدلال:** سبب تكون فيه الآية اللّاحقة استدلال على معنى وقع في السّابقة، كما يتبيّن ذلك جليّا في قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً"(الملك2)، فهذه الآية جاءت استدلالاً على وحدانية الله وقدرته، وأنّ الملك بيده. وقد جاء في تفسير التّحرير والتّنوير أنّ "ذكر الموت إتمام للاستدلال على على دقيق الصّنع الإلهي، وهو المسوق له الكلام، وذكر خلق الحياة إدماج للتّذكير، وهو من أغراض السّورة"[41].

ومنه أيضا الآية الثالثة من السّورة: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ"؛ فالآية تتمّة للاستدلال على وحدانية الله وقدرته بما تشاهده أبصارهم في الكون من نظام للكواكب.

ومن الاستدلال أيضا في سورة الملك بما يحقّق التّناسب المعنوي بين الآيات في السّورة، ما نجده في الآية (15). قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور"، فالآية تتناسب بقرينة الاستدلال مع

الآيتين السّابقتين (3/2)، فهو "استئناف فيه عود إلى الاستدلال، وإدماج للامتنان، فإنّ خلق الأرض الّتي تحوي النّاس على وجهها أدلّ على قدرة الله تعالى وعلمه من خلق الإنسان، إذ ما الإنسان إلاّ جزء من الأرض أو كجزء منها"[42].

وقد استرسل القرآن في الاستدلال على وحدانيته وقدرته، فعطف الآية (19)، قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِير" على الآية السّابقة (15)، فانتقل بذلك "من دلالة أحوال البشر وعالمهم، إلى دلالة أعجب أحوال العجماوات، وهي أحوال الطير... فحالها أقوى دلالة على عجيب صنع الله المنفرد به"[43].

- **الانتقال من حديث لآخر تنشيطا لذهن السّامع:** يتجسّد هذا العنصر في انتقال القرآن الكريم من التّبصير بالحجج والبراهين، وتهديد الكافرين ووعيدهم إلى التّذكير بفضل الله في النّشأة واكتمال الخلْقة، كلّ ذلك على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم،كما هو وارد في قوله تعالى: "قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُون"(الآية23)، وهذا الانتقال إنّما يكون تنشيطًا لأذهان السّامعين، وتفنّنا في البيان[44].

- **الجواب على السّؤال:** من التّناسب بين الآيات، أن تكون الآية اللاّحقة تتمّة للآية السّابقة، فهي امتداد لها باعتبارها جوابا على سؤال وقع في الأولى، ومثاله في سورة الملك ما ورد بين الآيتين الثّامنة والتّاسعة. قوله تعالى: "تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيْهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأتِكُمْ نَذِير، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِير" فلمّا كان الاستهام في الآية الأولى للتّوبيخ، كان الجواب في الثانية بـ"بَلَى" تحسّرًا واعترافًا بالذّنب، فحصل هذا التّناسب بين الآيتين.

ومثاله أيضا ما ورد بين الآيتين "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْن، قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ الله وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيْرٌ مُبِيْن"(الملك 26/25)، فالظّاهرارتباط الآية الثانية بالأولى ارتباط ردّ على سؤال ورد في الأولى؛ وإذا كان سؤال الكافرين عن الوعد سؤال تهكّمٍ واستهزاءٍ بالنّبي وأصحابه، فإنّ إجابة القرآن على لسان محمّد صلّى الله عليه وسلم كانت إجابة جدٍّ على ظاهر السّؤال على طريقة أسلوب القرآن الحكيم[45].

ب- **الإحالة:** الإحالة وسيلة من وسائل الرّبط بين الجمل والآيات لافي القرآن الكريم، وهي إمّا إحالة بالضّمير، وإمّا إحالة باسم الإشارة. يقول محمّد خطابي: "لا يخفى الدّور الّذي تقوم به الإحالة، ضميرية كانت أو إشارية في ربط أجزاء خطاب معيّن، وبهذا الدّوراهتمّ المفسّرون، إلاّ أن تناولهم يتميّز بالانتباه إلى احتمال تعدّد ما يحيل إلى الضمير، وما يشير إليه اسم الإشارة"[46]. ففي مواطنَ كثيرة من سور القرآن الكريم يتعذّر على القارئ أو الدّارس لآياته تحديد المحال إليه ضميرًا كان أو اسم إشارة، فكان أن تباينت مخارج وآراء علماء القرآن ودارسيه.

.**الإحالة بالضّمير:** في سورة الملك مواطن كثيرة ومتعدّدة للضمير بأنواعه الثلاثة الدّور في جعل الكلام على سنن واحد من النّظم، بما يحقّق التناسب والانسجام المعنوي بين الآيات، على أنّ المحال إليه قد يقع في الآية الّتي تسبق الضمير أو الآية الّتي قبلها، وقد يكون المحال في موضع أسبق من ذلك.

نقتصرفي دراستنا للإحالة الضّميرية على الجدول التالي، الّذي أحصينا فيه أهمّ مواطن الإحالة ذات البروز الأسلوبي في تحقيق التّناسب والانسجام بين الآيات، مع التّدليل على المحال إليه:

رقم الآية	الضمير المُحال	الاسم المُحال إليه	رقم الآية
الآية (02)	(كم) في: "لِيبلوكم" و"أيّكم"	النّاس أجمعين(مؤمنين ومشركين)	.
الآية(03)	المستترفي:"ترى"و"ارجع"مرتين	الفرد من النّاس أجمعين.	الآية(02).
الآية(05)	(ها) في: "وجعلناها"	"مصابح".	الآية (05)
الآية(07)	- الواوفي: "أُلقوا"	- "الّذين كفروا".	الآية (06)
	- الهاء في "فيها" و"لها"	- "جهنّم" .	الآية (06)
الآية(08)	- المستترفي "تكاد" و"تميّز"	- "جهنّم".	الآية(06).
	- الهاء في"خزنتها"	- "جهنّم".	الآية(06).
الآية(09)	- الواو"قالوا"	- "فوج".	الآية(08).
	- "نا" في"جاءنا،كذّبنا، قلنا"	- "فوج".	الآية(08).
	- "أنتم"	- "نذير" و أتباعه.	الآية(08).
الآية(10)	- الواوفي:"قالوا".	- "الّذين كفروا".	الآية(08).
الآية(11)	- الواوفي:"اعترفوا".	- "الّذين كفروا".	الآية(06).
الآية(13)	- الواوفي:"أسرّوا" و"اجهروا"	- "الّذين كفروا".	الآية(06).
	- الهاء في: "إنّه عليم".	- معلوم من المقام.	..
	- "هو"في:"وهو اللطيف الخبير"	- معلوم من المقام.	..
الآية(15)	- "كم" في:"لكم".	- الّذين كفروا	الآية(13).
	- الواوفي:"فامشوا"و"كلوا".	- الّذين كفروا.	الآية(13).
الآية(16)	-"تم"في: "أأمنتم" .	- الّذين كفروا.	الآية(15).
	- "كم"في:"بكم".	- الّذين كفروا.	الآية(15).
الآية(17)	- الواو"في:"فستعلمون".	- الّذين كفروا.	الآية(16).

الآية(18)	- "هم"في:"من قبلهم".	- الّذين كفروا.	الآية(17).
الآية(19)	- الواوفي:"يروا".	- الّذين كفروا.	الآية (18)
	- "هم"في:"فوقهم".	- الّذين كفروا.	الآية(18)
الآية(21)	- "كم"في:"يرزقكم".	- الّذين كفروا.	الآية(19).
	- الكاف في:"أمسك".	- "الرّحمن".	الآية(20).
	- الهاء في:"رزقه".	- "الرّحمن".	الآية(20).
	- الواوفي:"لجّوا".	- الّذين كفروا.	الآية(20).
الآية(23)	- المستترفي:"قل".	-" نذير"وهو الرّسول الكريم.	الآية(08).
	-"هو".	-"الرّحمن".	الآية(20).
	-"كم" في: "أنشأكم جعل لكم"	- الّذين كفروا.	الآية(21).
	- الواوفي: "تشكرون"..	- الّذين كفروا.	الآية(21).
الآية(24)	- "كم" في:"ذرأكم".	- الّذين كفروا.	الآية(23).
	- الواوفي:"تُحشرون".	- الّذين كفروا.	الآية(23).
الآية(25)	- الواوفي:"يقولون".	- الّذين كفروا.	الآية(24).
	- "تم" في:"كنتم".	- "نذير" والمسلمون.	الآية(08).
الآية(27)	- الواوفي:"رأوه".	- الّذين كفروا.	الآية(25).
	- الهاء في:"رأوه".	- "الوعد".	الآية(25).
الآية(28)	- "تم" في:"أرأيتم".	- "الّذين كفروا".	الآية(27).
	- الياء في "معي".	-"نذير".	الآية(26).
	- "نا" في:"أورحمنا"	-"نذير" والمسلمون.	الآية(26).
الآية(29)	- "هو"	- "الله".	الآية(28).

	- "نا" في:"آمنّا" و"توكّلنا".	- "نذير" والمسلمون.	الآية(28).
	- الواو في:"فستعلمون".	- "الكافرين".	الآية(28).
الآية(30)	- "تُم" في:"أرأيتم".	- "الكافرين".	الآية(28).
	- "كم" في:"ماؤكم" و"يأتيكم"	-" الكافرين".	الآية(28).

الواضح من خلال هذا الجدول أنّ ضمير المخاطب والغائب المتعلّقين بالكافرين وأهل الشرك هما الأكثر تواترًا في سورة الملك، وهو ما كان له الأثر البّارز في ترابط الآيات وتعلّق معانيها بعضها ببعض، ومن ثَمَّ انسجامها، وهذا يتماشى مع الغرض العام للسّورة في إثبات قدرة الله تعالى ووحدانيته والردّ على المشكّكين وعبدة الأصنام ثمّ الوعيد والتّهديد بالاستدلال بالحجج والبراهين، إنْ بما حدث لأسلافهم المكذّبين، وإنْ بأنعُمه الّتي لا تُحصى ولا تعدّ في الآفاق وفي أنفسهم.

- **الإحالة باسم الإشارة:** ذكر الدّكتور محمّد خطابي أنّ اهتمام المفسّرين للقرآن كان منصبًّا في الإحالة الإشارية على أسماء الإشارة الدّالة على البعيد مثل: (ذلك، وتلك، وأولئك)، وأنّ هذا التّناول كان مقتصرا على "تعدّد المشار إليه وبين الإشارة إلى خطاب، وعدم التّطابق بين اسم الإشارة والمُشار إليه"[47].

على أنّنا وقعنا في سورة الملك على نمط واحد من هذه الإحالة؛ وذلك في قوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَوْهُ سِيْئَتْ وُجُوْهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَقِيْلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُون"(الملك27). فاسم الإشارة "هَذَا" مُشار إليه بالضمير **(الهاء)** في جملة "رَأَوْهُ" قبله، العائد على "الوَعْدُ" في السّابقة. قوله تعالى: "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين"(الملك25). فالملاحظ أنّ وجه الارتباط والتّناسب بين الآيتين ما أحال إليه اسم الإشارة "هَذَا".

ج- **التّكرير:** نظر الدّارسون للخطاب القرآني على أنّ التّكرير وسيلة من الوسائل الّتي تربط أجزاء الخطاب بعضه ببعض. كما أنّهم اعتنوا أيضا بدلالته، فهو يؤدّي وظيفتين. الأولى: تماسك الخطاب وانسجامه. والثانية: دلالية، كالتّوكيد أو التّحذير أو الاهتمام أو وصلاً لما انقطع؛ كما أنّها قد تكون تداولية اهتماما بالخطاب ولفت أسماع المتلقّين[48]. على أنّه ما يهمّنا في هذا المقام، الوظيفة الأولى الّتي انبرت لنا في خمسة مواضع من سورة الملك:

- **الموضع الأوّل:** كرّر القرآن الاسم الموصول، بنظام التّتابع، في الآية الأولى ومطلعي الآيتين الثانية والثالثة، فأُعيد فيهما الاسم الموصول حتّى تكون الجمل الثلاث على جارية على نمط واحد وطريقة واحدة[49]. فالانسجام بين الآيات الثلاث تحقّق من النّاحية المعنوية بتذكير الله تعالى لمعالم قدرته العظمى ونسْبها إليه، بعد أن أثنى على نفسه، فهو يربط الحقيقة الأولى في مطلع السّورة بمعالم الكون الكبرى على التّرتيب؛ وهو من النّاحية الشّكلية التّركيبية، "الَّذِي" في الآية الثّانية وقع وصفًا للقدير، وفي الآية الثالثة وقع وصفًا للعزيز الغفور، فهو تابع له.
- **الموضع الثاني:** كرّر القرآن الجملة الفعلية "اِرْجِعِ البَصَرَ" في الآية الرّابعة. قوله تعالى: "فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُور، ثُمَّ اِرْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ"(الملك4/3)، والتّناسب بين الآيتين كان بحرف العطف "ثُمّ" وقد أشرنا إليه، على أنّ

تكرار الجملة "اِرْجِعِ البَصَرَ" كان له الدّور في ربط الثانية بالأولى، ثمّ أنّ هذا التّكرار كان للتّأكيد والحثّ على التأمّل في خلق الله ليستقرّ الإيمان بقدرة الله تعالى.

- **الموضع االثالث:** كرّر القرآن الاستفهام في الآية (17)، فبعد أن ذكر قوله تعالى: "أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور"(الملك16)، كرّر الاستفهام بقوله: "أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُوْنَ كَيْفَ نَذِيْر"(الملك17). ففي هذا التّكرار انسجام بين الآيتين بما يناسب التّتابع في تهديد أهل الشّرك والكفر وتحذيرهم وإنكار ما يدّعون.
- **الموضع الرّابع:** مثال السّابق، فقد كرّر القرآن الاستفهام في الآية (21)، فبعد أن ذكر قوله تعالى: "أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُوْنِ الرَّحْمَنِ إِنْ الكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُور"(الملك20)، أعاد صيغة الاستفهام نفسها في قوله: "أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُور"(الملك21). فالكلام على أسلوب الأولى، الاستفهام فيها مستعمل للتّعجيز والتّحقير، فكان هذا التّكرار والتّتابع على سبيل التّذييل، فالتّناسب معنوي.
- **الموضع الخامس:** كرّر القرآن الفعل "قُلْ" ستّ مرّات في مطالع الآيات (28/26/24/23 / 30/29)، والإكثار من الفعل "قُلْ" كما ذكر صاحب التّحرير والتّنوير "من قبيل التكرير المشعر بالاهتمام بالغرض المسوقة فيه تلك الأقوال"[50]. وفي هذا التّكرير أيضا ردّ القرآن على ما يدّعيه الّذين كفروا على لسان محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وعليه فاتّباع القرآن الكريم "الأمر بخمسة مثله بطريقة التّكرير بدون عاطف اهتمامًا بما بعد كلّ أمر من مقالة يبلّغها إليهم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم"[51]. وهذا التّكرير تحقّق معه انتظام الكلام وانسجامه في صورة من التّتابع المتّصل.

د- ترتيب الخطاب: المقصود به "ترتيب الوقائع والأحداث في الخطاب حسب ما تقع في الخارج أهمية في انسجام الخطاب، وكثيرا ما يؤدّي تداخل التّرتيب في خطاب ما إلى عدم انسجام الخطاب"[52]

وسورة الملك، وبالرّغم من الطابع العقائدي لموضوعها، فإنّها لم تخلُ من هذه الآلية الهامّة والمُسهمة في انسجام الخطاب. وعليه فحقيقة الملك والقدرة عُرضت بالصور والآيات الكبرى الدّالة عليها ثمّ الأدنى فالأدنى. فقد تحدّث القرآن عن عن خلق الموت والحياة من العدم، ثمّ خلق السماوات والنّجوم، وهي من أعظم المخلوقات الدّالة على عظمة وقدرة الخالق عزّ وجلّ، ثمّ عرّج على خلْق الأرض والطّيور والرّزق وغيرها من النّعم الّتي أنعم بها على النّاس أجمعين. وفي أثناء ذلك التّدليل كان بالحجّة والبرهان على ضلال أهل الكفر والإشراك، تحدّاهم الله تعالى وخاطبهم بقدر عقولهم الّتي يعقلون بها.

وعليه نستطيع القول أنّ هذا التّرتيب الموضوعاتي لنسيج الخطاب الّذي جاءت به سورة الملك،وبالرّغم من الاعتراض والانتقال من غرض إلى آخر الّذي قد يجده القارئ، فإنّه في الأخير تتشكّل له صورة واحدة لموضوعات منسجمة مع بعضها البعض، وفق ترتيب منطقي يومئُ إلى هدف واحد.

هـ- العلاقات: وهي تلك الرّوابط المعنوية الّتي تربط الآية بأختها، سواءً أكانتا متجاورتين أم متباعدتين، ومن تلك العلاقات الّتي أشار إليها علماء التّفسير القرآني بالخصوص: علاقة البيان والتّفسير، وعلاقة الإجمال والتّفصيل أو العكس. وسنقف عند العلاقة الأولى، على اعتبار أنّ الثانية سبق الوقوف عندها في حديثنا عن علاقة مطلع السّورة بموضوعاتها، وهو أمر يتعلّق بتفصيل ما جاء مجملاً في المطلع.

. **البيان والتّفسير:** يُعتبر هذا النّوع من العلاقات الأبرز والأكثر تواترا في سورة الملك، وهي علاقة تخصّ الآيات فيما بينها، في غير ما حاجة إلى رابط شكلي، ممّا يعني أنّ هناك ارتباط معنوي بياني خفي بين اللّاحق المبيّن والسّابق المبيَّن، وبالتّالي يعتبر اللّاحق دائمًا رافعًا للإبهام أو الالتباس الّذي يلحق السّابق، كما قد يكون تفسيرا له. وهذا النّوع عند الإمام محمّد الطاهر بن عاشور يُدعى: **الاستئناف البياني**. ومثاله في سورة الملك:

*- ما جاء في الآية السّابعة. قوله تعالى: "إِذَا أُلْقُوا فِيْهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيْقًا وَهِيَ تَفُور"، فالآية استئناف بياني لما ورد في الآية الّتي سبقتها "وَلِلَّذِيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيْر"(الملك6). يقول ابن عاشور: "الجملة استئناف بياني لبيان ذمّ مصيرهم في جهنّم، أي من جملة مذام مصيرهم مذمّة ما يسمعونه فيها من أصوات مؤلمة مخيفة"[53]

*- ومثاله أيضًا ما ورد في الآية الثامنة والتاسعة. قوله تعالى: "كُلَّمَا أُلْقِي فِيْهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأتِكُمْ نَذِيْرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيْرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ الله مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِير"؛ فالآيتان "استئناف بياني (لما ورد في الآيتين السادسة والسّابعة) أثاره وصف النّار عند إلقاء أهل النّار فيها إذ يتساءل السّامع عن سبب وقوع أهل النّار فيها فجاء ببانه بأنّه تكذيبهم رسل الله الّذين أُرسلوا إليهم"[54].

*- وكذلك الأمر لدى قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِير"(الملك12)، فالآية وقعت اعتراضًا، حيث سُبقت بحديث القرآن عن ترهيب القرآن للكافرين ووعيدهم بصنوف من العذاب، بعد قوله تعالى: "فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِير" (الملك11)، فنتقل القرآن من الرهبة إلى الرّغبة، وهذا الانتقال "يفيد استئنافًا بيانيًا جاء على سنن أساليب القرآن من تعقيب الرّهبة بالرّغبة، فلمّا ذكر ما أعدّ للكافرين المعرضين عن خشية الله، أعقبه بما أعدّ للّذين يخشون ربّهم بالغيب من المغفرة والثّواب للعلم بأنّهم يترقّبون ما يميّزهم عن أحوال المشركين"[55]

*- ومنه أيضا ما ورد في قوله تعالى: "بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُور"(الملك21)، فالآية "استئناف بياني وقع جوابًا عن سؤال ناشئ عن الدّلائل والقوارع والزّواجر والعظات والعبر المتقدّمة ابتداء من قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ" إلى هنا، فيتّجه للسّائل أن يقول: لعلّهم نفعت عندهم الآيات والنّذر، واعتبروا بالآيات والعبر، فأُجيب بإبطال ظنّه بأنّهم لجّوا في عتوّ ونفور"[56].

هذه أهمّ المواطن الّتي جاءت فيها الآيات مفسّرة مبيّنة لما سبقها في سورة الملك، وهو ما يُضفي تعانقًا وتآلفًا وانسجامًا بين تلك الآيات، ليتّضح للقارئ أنّها لحُمة واحدة على نسق واحد من النّظم.

وعليه، فإنّ ظاهرة الانسجام في سورة الملك وإنْ تعدّدت آلياتها وتنوعّت وسائلها وأدواتها، فإنّها تُعدّ ظاهرة يحسّ بها القارئ للسّورة دون الحاجة إلى البحث في تلك الآليات، فبالرّغم من تعدّد مواضيع السّورة فإنّ الموضوع الأكبر واحد، ومن ثَمَّ ما تلك الوسائل والآليات إلاّ أدوات خفية لانسجام ظاهر.

مصادر البحث ومراجعه:

[1] - أبو زيد نصر حامد، **مفهوم النّص. دراسة في علوم القرآن**، ط6، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب2005،ص 160.

[2] - المثنّى عبد الفتاح محمود، **نظرية السّياق القرآني. دراسة تأصيلية دلالية نقدية**، ط1، دار وائل للنّشر، عمان، الأردن، 2008، ص19.

[3] - ابن حنبل أحمد، **المسند**، ج4، د/ط، دار المعارف، القاهرة، 1949، ص 218.

[4] - السّيوطي جلال الدّين، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، دار صادر، بيروت، د/ت، ص 284.

[5]- الزركشي بدرالدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، دار التراث، القاهرة، 1990،ص 256.

[6] الرّازي فخر الدّين، **التفسير الكبير**،ج3، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص 106.

[7]- البقاعي إبراهيم بن عمر، **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**، ج1، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 05.

[8] - الزحيلي وهبة، **التفسير المنير**، م15، ج 29، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005،ص 6/5.

[9]- السّيوطي جلال الدّين، **تناسق الدّرر في تناسب السّور**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص 45.

[10]- أُنظر: الأرمي محمّد الأمين، **حدائق الرّوح والرّيحان**، م30، دار الكتاب الحديث، الأردن، 2007 ص 05.

[11]- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، م12،ج29 دار الشروق، تونس ، ص 06.

[12]- خطابي **محمّد، لسانيات النّص. مدخل إلى انسجام الخطاب**. ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص195.

13 قطب سيد، **في ظلال القرآن**، م6، ج29، دار الشروق، القاهرة، 1987 ص 3648.

14 أُنظر: ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**، م3، ص 526، وما بعدها.

[15]- أبو زيد أحمد، **التناسب البياني في القرآن الكريم. دراسة في النّظم المعنوي والصوتي**، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، 1992، ص 73.

هوامش وإحالات المقال

[1] - أبو زيد نصر حامد، **مفهوم النّص. دراسة في علوم القرآن**، ط6، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب2005،ص 160.

[2] - المثنّى عبد الفتاح محمود، **نظرية السّياق القرآني. دراسة تأصيلية دلالية نقدية**، ط1، دار وائل للنّشر، عمان، الأردن، 2008، ص19.

[3] - ابن حنبل أحمد، **المسند**، ج4، د/ط، دار المعارف، القاهرة، 1949، ص 218.

[4] - السّيوطي جلال الدّين، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص 284.

[5] - الزركشي بدرالدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 256.

[6] - الرّازي فخر الدّين، **التفسير الكبير**،ج3، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص 106.

[7] - البقاعي إبراهيم بن عمر، **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**، ج1، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 05.

[8] - الزّركشي بدر الدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 36.

[9] - أبو زيد نصر حامد، **مفهوم علم النّص**. دراسة في علوم القرآن، ص 161.

[10] - أبو زيد نصر حامد، المرجع السّابق، ص 168.

[11] - **المرجع نفسه**، ص 175.

*- نذكر من القدماء الّذين أبلوا البلاء الحسن في هذا الباب: جلال الدّين السيوطي في كتابه المميّز (تناسق الدرر في تناسب السّور)، وبرهان الدّين البقاعي في كتابه (نظم الدّر في تناسب الآيات والسّور)، وبرهان الدّين الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) الّذي خصّص جزءا غير يسير من الجزء الأوّل في هذا الكتاب للبحث في المسألة. دون أن ننسى أبا جعفر الغرناطي في مصنّفه (البرهان في ترتيب سور القرآن)، بالإضافة إلى ما جاء به الرّازي فخر الدّين في تفسيره الكبير.

أمّا من المحدثين الّذين كان لهم الفضل في توضيح ما أغفله القدماء، فنذكر الدكتور محمّد خطابي في كتابه (لسانيات النّص) والدكتور نصر حامد أبو زيد في كتابه (مفهوم النص. دراسة في علوم القرآن)، وكذلك ما قام به الدّكتور أحمد أبو زيد في كتابه (التناسب البياني في القرآن. دراسة في النّظم المعنوي والصوتي) والّذي يعدّ بحق لبنة إضافية تدعّم الدّراسات الّتي خاضت في البحث عن الانسجام في القرآن.

*- نشير في هذه النقطة أن البحث في آليات المناسبة ووسائلها الّذي يتحقق بها انسجام النص القرآني كان بناءً على جهود الدّكتور محمّد خطابي والنتائج المميّزة الّتي وصل إليهافي كتابه (لسانيات النّص. مدخل إلى انسجام الخطاب)

[12] - انظر: الزركشي بدر الدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 38/ 186.

[13] - الزحيلي وهبة، **التفسير المنير**، م15، ج 29، ص 6/5.

[14] - السّيوطي جلال الدّين، **تناسق الدّرر في تناسب السّور**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص 45.

[15] - الزركشي بدر الدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 270.

[16] - أُنظر: الأرمي محمّد الأمين، **حدائق الرّوح والرّيحان**، م30، ص 05.

[17] - ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، م12، ج29، ص 06.

*- وردت في برهان الزركشي بهاته الصورة، وهي لدى النّحويين تأتي مرفوعة على الحكاية في حالة النّصب.

[18] - الزركشي بدر الدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 186.

[19] - خطابي **محمّد، لسانيات النّص. مدخل إلى انسجام الخطاب**. ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص195.

[20] - قطب سيد، **في ظلال القرآن**، م6، ج29، ص 3648.

[21] - السّيوطي جلال الدّين، **الإتقان في علوم القرآن**، ج2، ص 106.

[22] - ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، م12، ج29، ص 09.

[23] - قطب سيد، **في ظلال القرآن**، م6، ج29، ص 3631/3630.

[24] - السّيوطي جلال الدّين، **الإتقان في علوم القرآن**، ج2، ص 141.

[25] - أبو زيد نصر حامد، **مفهوم النّص**، ص181.

[26] - أُنظر: ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**، م3، ص 526، وما بعدها.

[27] - أبو زيد أحمد، **التناسب البياني في القرآن الكريم. دراسة في النّظم المعنوي والصوتي**، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، 1992، ص 73.

[28] - المرجع نفسه، ص 73.

[29] - ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، م12، ج29، ص 29.

[30] - قطب سيد، **في ظلال القرآن**، م6، ج29، ص 3636.

[31] - ابن عاشور، المرجع السابق ص 41.

[32] - ابن عاشور، المرجع السّابق، ص 47.

[33] - ابن عاشور، المرجع السّابق، ص 18

[34] - ابن عاشور، المرجع السّابق، ص 30.

*- وردت بدون تنوين في تفسير ابن عاشور(التحرير والتنوير)، والأصوب تنوينها على المفعولية.

[35] - المرجع نفسه، ص 35.

[36] - المرجع نفسه، ص 36.

[37] - ابن عاشور، المرجع السّابق، ص 36.

[38] - الأرمي محمّد الأمين، **حدائق الرّوح والرّيحان**، م30، ص 61.

[39] - الزركشي بدر الدّين، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 46.

[40] - انظر: المرجع نفسه، ص 46، وما بعدها.

[41] - ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، م12، ج29، ص 14.

[42] - ا المرجع نفسه، ص 31.

[43] - المرجع نفسه، ص 37.

[44] - أُنظر: ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 46.

[45] - المرجع نفسه ، ص 49.

[46] - خطابي محمّد، **لسانيات النّص**، ص 173.

[47] - خطابي محمّد، المرجع السّابق، ص 176.

[48] - انظر: المرجع نفسه، ص 179.

[49] - انظر: ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، م12، ج29، ص16.

[50] - ابن عاشور، المرجع السّابق، ص 48.

[51] - المرجع نفسه، ص 47.

[52] - المرجع نفسه، ص183.

[53] - ابن عاشور، المرجع السّابق، ص 23.

[54] - المرجع نفسه، ص 24.

[55] - ابن عاشور، المرجع السّابق ، ص 29.

[56] - ، المرجع نفسه، ص 43.